حسن حنفي وسؤال العمل في التراث الإسلامي

ليندة صياد (الجزائر)

لقد عرفت المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة أزمات وتحديات كبرى عبّرت عن مظاهر التخلف الثقافي والحضاري، الأمر الذي دفع بالباحثين في الفكر العربي الحديث والمعاصر، إلى إعادة النظر في المفاهيم والنظم والعقائد، من أجل ابتكار أساليب جديدة لدراسة الواقع المتأزم. بالإضافة إلى نقد المرجعية المهيمنة: التراث والحداثة، الأصالة والمعاصرة، الأنا والآخر، وكذا التفكير في علاقة الديني بالدنيوي، والمقدس بالتاريخي.

لكن ما يلاحظ على هذه المحاولات هو طغيان الجانب النظري على الجانب العملي، ومنه لابدّ من تفعيل دور الفلسفة حتى تكون عملية في ظل التغيرات والأحداث الجديدة التي يعرفها العالم اليوم، خاصة إذا علمنا أن الفكر النفعي والمادي هو السائد، أما التأمل النظري المجرّد فلا يعتدّ به إطلاقا. وهذا ما جعل "حسن حنفي"[١] يدعو إلى ضرورة التخلص من الأزمات التي تتخبّط فيها المجتمعات العربية والإسلامية، ولن يتحقق ذلك إلا بالسعي إلى التجديد والثورة في مناحي شتى، ومن ثمّ تجديد الفكر العربي من أجل التخلص من مظاهر التخلف وتحقيق النهوض الحضاري والرقي الاجتماعي. إذن ماهي تجلّيات فلسفة العمل عند حسن حنفي في التراث العربي الإسلامي؟

١. مفهوم العمل: Action

تستمد كلمة عمل من فعل agir باللاتينية agére أي دَفَعَ، ويرتبط بإحساس الجهد الداخلي والإرادة من جهة، وبالحركات الخارجية التي تعتبر تجليا له من جهة أخرى.[٢](والعمل عملية يقوم الإنسان فيها بتحويل موضوع محدّد إلى نتاج محدّد، بواسطة جهده الشخصي، وبواسطة أدوات عمل محدّدة في حقل معيّن من العلاقات لاجتماعية. وعندما نشير إلى مفهوم الأدوات والعلاقات الاجتماعية، فإننا لا نحدّد مفهوم العمل بشكل عام، بل نحدّد شكلا تاريخيا للعمل، أي نربط العمل بالتاريخ الاجتماعي. [٣]

تستخدم الفلسفة الماركسية مصطلح "**براكسيس**" **Praxis** للدلالة على العمل أو سلوك الإنسان الموجه نحو تغيير الطبيعة من أجل تلبية حاجياته؛ أو بمعنى آخر

البراكسيس هو ما ينتجه الإنسان من إنتاج مادي للتعبير عن وجوده وأفكاره، ومن ثمّ هو ما يصنعه الإنسان، وفي نفس الوقت هو ما يجعله يتكوّن بشكل معيّن. [٤]وانطلاقا من هذا التصور، والذي يربط العمل بالتطور الاجتماعي يمكن أن نقول: "أن العمل عملية يقوم الإنسان فيها بتحويل موضوع محدَّد إلى نتاج محدّد، بواسطة جهده الشخصي وبواسطة أدوات عمل محددة في حقل معيّن من العلاقات الاجتماعية".[٥]

وعلى هذا الأساس يقدّم كارل ماركس[*] Karl Marx مفهوما اقتصاديا للعمل، في كتابه رأس المال معتبرا إياه، "فعالية غرضية، تهدف إلى إنتاج القيم الاستعمالية وأيضا هو تملُّك ما يوجد في الطبيعة من أجل إشباع مطالب الإنسان". [٦]

وعليه، تتضمن عملية العمل ثلاثة أشياء: ١-نشاط الإنسان الغرضي أو العمل الخاص، ٢-موضوع العمل، ٣-وسائل الإنتاج التي يفعل الإنسان بواسطتها في هذا الموضوع. [٧]

ويعتبر العمل مظهرًا من مظاهر الشغل، إلاّ أن مفهوم الشغل ارتبط بالكدح والإرهاق. وحتى نرفع الالتباس بين المصطلحين نشير إلى أوجه الاختلاف بينهما حسب تقسيم "حنا أرندت"[*]Hannah Arendt للحياة العملية للإنسان، حيث جعلتها في ثلاثة أقسام: العمل والحرفة والفعل (Travail, Œuvre, Action) حيث تقول: "إنني أقترح مصطلح -الحياة العملية- لكي أشير إلى ثلاثة أنشطة بشرية جوهرية هي: العمل والحرفة والفعل. إنها جوهرية لأن كل واحد منها، يتطابق مع الأوضاع الرئيسية التي تعطي الحياة للإنسان على الأرض".[٨] **فالعمل** هو النشاط الذي يرتبط بتلبية الحاجات والضرورات البيولوجية للإنسان. أما **الحرفة** فهي النشاط الذي يتطابق مع اصطناع الوجود البشري. إذ تقدم عالم مصطنع من الأشياء المختلفة ينتجها الإنسان ويستعملها، ومن ثمّ فالوضع البشري للحرفة هو الانتماء إلى العالم وحفظ الحياة الإنسانية. [٩]وأما **الفعل** فهو النشاط الشائع بين الناس من دون توسط الأشياء ولا المادة... والمعيار الرئيسي للفعل هو التجلي الواضح للفاعل في الكلام والممارسة، فالفعل مرتبط بالكلام والممارسة، وهو ما يجعل الإنسان كائنا سياسيا، يعبر عن ماهيته من خلال الفعل، فيكشف عن ذاته، ومع كل ميلاد يأتي شيء جديد في العالم. [١٠] إذن إن كل فعل بحسب أرندت هو مبادرة ولا يمكن القيام به بمعزل عن الآخرين. كما أن الربط بين الفعل والكلام، يلعب دورا أساسيا في مجال السلطة والسياسة. حيث تستعمل الكلمات لإعلان الحقائق، والأفعال لتكوين علاقات وحقائق جديدة.

الفرق بين الفعل والعمل:

إنّ لفظ الفعل أعمّ من لفظ العمل، ومن ثمّ كان العمل أخصّ من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى القوى المادية مثل قولنا: فعل الطبيعة وفعل الحرارة، أما العمل فلا يطلق إلاّ على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر ورويّة وقصد، وهو يحتاج إلى امتداد الزمان، أمّا الفعل فقد يتم دفعة من غير بطء. [١١]ويرتبط بالعمل الوعي والإرادة والقصدية بينما يخلو الفعل من ذلك.

٢. أثر البراكسيس الماركسي على فكر حسن حنفي:

تأثر حسن حنفي بالمذهب الماركسي، تأثرا شديدا مما جعله ينسب نفسه للماركسية وللتيار الخاص بها،حيث مضى خلف خطى ماركس في نقد الدين، واعتباره نوعا من الاغتراب وأحد أشكال الوعي الزائف، يتحكم في الإنسان ويمنع استقلاله. كما فسرت الماركسية الدين تفسيرا ماديا اجتماعيا تاريخيا، حيث يقول في نقد التراث الديني هو "الشرط الضروري لنقد المجتمع، وأن نقد الدين هو المقدمة الضرورية لتحريك الواقع".[١٢]

نفهم من قوله هذا أنه يدعو إلى الاجتهاد في نقد الدين الإسلامي، ليكون النقد متماشيا مع ظروف الواقع وما يتطلبه العصر الراهن، مما يلغي خاصية الثبات في الدين ليصبح نسبيا يتغير بتغير الزمان والمكان، فالدين نتاج اجتماعي شأنه شأن السياسة والفن والأخلاق والقانون، إنه شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، وهذا الأخير هو الوجود الواعي للبشر وتطور حياتهم الواقعية. [١٣]

وبهذا المعنى، فإن الدين عند ماركس ليس منتجا خارج التاريخ، ثابتا مطلقا، إنما هو إنتاج اجتماعي مشروط بالوجود الاجتماعي للبشر ينشأ ويتطور وينتهي في التاريخ، وبذلك، فإن ماركس ينزع عن الدين صفة القداسة والغيب (الوحي) والمثابرة.[١٤]

وانطلاقا من موقف ماركس من الدين تم استنتاج تأويلين مختلفين؛ أحدهما ينطلق من مقولته: "الدين أفيون الشعوبومن ثم اعتبر موقفه إلحاديا سلبيا، والثاني ينطلق من مقولة ماركس أن المعاناة الدينية هي في الوقت عينه تعبير واحتجاج ضد المعاناة الحقيقية، وأن الدين هو تأوه المخلوق المقهور، هو عاطفة في عالم لا قلب له في عالم لا روح فيه، إنه أفيون الشعوب؛ أي دحض الدّين باعتباره سعادة وهمية للبشر ومطلب لتحقيق سعادتهم الحقيقية".[١٥]

فهذه المقولة أي التأويل الثاني لموقف ماركس، هي التي يستند عليها بعض دعاة لاهوت التحرير في تأكيدهم على عدم تعارض الماركسية مع الدين. ويعد حسن حنفي من بين الذين يأخذون بهذا التأويل الثاني الذي يرفع التناقض ويؤكد التقارب بين الماركسية والدين على الأقل في الغاية، والتي تتمثل في السعي لتحرير الإنسان وتحقيق سعادته في الحياة الدنيا؛ أي تحقيق الفردوس الأرضي أو بالأحرى ملكوت الله في الأرض.وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأن الماركسية شكلت رافدا أساسيا بالنسبة للاهوت التحرير عند حسن حنفيالذي لا يخفي إعجابه بها.

إذن حنفي تعامل مع الوحي أو مع الكتاب حسب أربعة رؤى أو أكثر، فالماركسية المبنية على المنظور المادي للأشياء حيث تعامل مع القرآن على أنه وثيقة تاريخية، ورؤية سبينوزية حيث طبق على القرآن المنهج النقدي لدراسة تاريخ الكتاب المقدس، أما في الرؤية الفيورباخية فطبق فكرة الاغتراب عن الدين، وأخيرا الرؤية الهوسريلية حيث تعتبر أن القرآن ينشأ في شعور النبي وشعور القارئ له.

أما عن موقف ماركس من العلاقة بين النظر والعمل فيظهر في قوله: "ليس المهم فهم العالم بل تغييره"؛ لأن الفهم من خصائص العقل البرجوازي الذي يريد الإبقاء على الوضع القائم، في حين تعتبر البروليتاريا الوريث الوحيد للأفكار لتركيزها على العمل. (١٦)

وبعدها ينتهي حسن حنفي إلى نتيجة مفادها أن المشروع الغربي قد بدأ بالعقل والسيطرة، في حين بدأ المشروع الشرقي بالفعل والتحرر، إلا أن هذا الأخير محاصر ومهمش ومهدّد؛ فأصبحت السيطرة للغرب باسم التقدم التكنولوجي وثورة المعلومات، وصراع الحضارات ونهاية التاريخ.

٣. لاهوت التحرير الإسلامي

يقوم مشروع حسن حنفي على الجمع بين التراث والتجديد بكيفية جديدة، حيث لا يفصل بين التراث والواقع، ويؤكد على ضرورة الانتقال من الإيمان والعقيدة إلى العمل والممارسة والثورة، ومن الجبر والإكراه إلى الحرية والتحرر. لذلك يمثل التحرر وتثوير التراث وتجديده، نقطة انطلاق محورية لدى حسن حنفي، وهذا ما جعله يدعو إلى "لاهوت تحرير إسلامي" أو "يسار إسلامي". واليسار مصطلح في علم السياسة يعني المعارضة والنقد وبيان المسافة بين الواقع والمثال. (١٧) ولما كانت الأمة الإسلامية

"تتكون من حكام ومحكومين، قادة وشعوب، علية وسفلة، ولما كانت مأساتنا في وجود الطرف الأول وغياب الطرف الثاني، فإن اليسار الإسلامي يركز على الطرف الثاني، ويعبر على الأغلبية الصامتة المقهورة بين جماهير المسلمين".(١٨)

بمعنى إعادة وعي البروليتارية الإسلامية، من أجل إقامة مجتمع عقلاني بلا طبقات، حيث يتم تحويل الدين من الثيولوجيا إلى الأنثروبولوجيا. والإسلام لدى حنفي ليس نظرية للبؤساء، ولكنه فكر معارضة هذا البؤس. (١٩) ومن هذا المنطلق كانت النظم السياسية في اليسار الإسلامي، نظما إنسانية تقوم على الاعتراف بالإنسان كقيمة، لا فرق بين حاكم ومحكوم، أو غني وفقير، أو رجل وامرأة. فكل إنسان له ذاتيته وليس فقط الحاكم أو الرئيس. (٢٠)

ويُعرّف لاهوت التحرير بأنه "ثورة داخل الدين" والمقصود بذلك أن الدين يحمل في طياته مقومات ثورية، وهذا من خلال دعوته الصريحة للثورة على الطغيان والاستبداد، وبالتالي نوظفه على نحو منحاز إلى المقهورين والمظلومين من جهة، وإلى قيم الحرية والمساواة من جهة أخرى. (٢١)

إذن لاهوت التحرير هو اتجاه ديني فكري سعى إلى فهم وتفسير النصوص الدينية انطلاقا من الواقع، حيث جاء كرد فعل على الأوضاع التي عايشتها دول العالم الثالث، فكان أول ظهور له في أمريكا اللاتينية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، من طرف رجال الدين الذين خرجوا عن الكنيسة الرسمية بسبب رفضهم لتعاليمها، في محاولة منهم للتخلص من الاحتلال سواء كان داخليا (المتمثل في سلطة الكنيسة) أو خارجيا (الاستعمار الأوروبي والأمريكي)، وقد شهدت أفكار لاهوت التحرير رواجا وانتشارا كبيرا، حيث تجاوز حدود أمريكا اللاتينية ليأخذ بعدا عالميا، فظهر في العديد من الدول الغربية وصولا إلى العالم الإسلامي باعتبار هذا الأخير يعيش في نفس الخانة (العالم الثالث)، ولهذا ظهرت العديد من المحاولات من طرف كبار المفكرين، من بينهم حسن حنفي الذي تبنى الاتجاه اليساري.

ويُعرّف حسن حنفي اليسار الإسلامي بأنه "إيديولوجيا ثورية تحريرية شعبية، تربط بين الدين والثورة، والإيمان والعدالة، والله والشعب، والعقائد والمطالب الاجتماعية".(٢٢)

وفي سياق تعريفه أيضا يقول: "ليس اليسار الإسلامي فقط اتجاها فكريا إسلاميا

اجتماعيا سياسيا تقدميا، يجمع بين الماضي والحاضر، بين الأصالة والمعاصرة بين التراث والتجديد، مثل كل الحركات الإصلاحية، بل هو أيضا نظرية أو منهج في التفسير يجمع بين النص والمصلحة، بين مقاصد الشريعة المستقاة من الأصول وتفعيلها في الواقع المعيش في الزمان والمكان،... وهو ليس منها جديدا، بل يضم معظم مناهج التفسير السابقة كأجزاء من مزعج كلي شامل. فهو يضم المنهج اللغوي، ويحتوي على المنهج الفقهي، ويتضمن أيضا الكلامي العقائدي.... كما يحتوي على التفسيرات الفلسفية كما يتضمن للتفسيرات الصوفية".[٢٣] وبهذا يأخذ لاهوت التحرير الإسلامي أو اليسار الإسلامي مع حسن حنفي شكلا جديدا ومغايرا عمن سبقه، سواء من الناحية النظرية أو العملية.

بالرغم من أن حسن حنفي من أكثر الفلاسفة والمفكرين تنظيرا لهذا الاتجاه، إلا أنه يرفض أن تسند إليه فكرة أنه هو المؤسس له، مصرحا بأن هناك آخرون لهم الفضل في تأسيسه،وحسب رأيه فما هو إلا امتداد لهذا الفكر. إلا أن جهوده وإسهاماته في بلورة هذا اللاهوت وترسيخه وتطويره لا يمكن أن تخفيها خافية؛[٢٤] حيث نجد له العديد من المؤلفات التي أنتجها في هذا الخصوص من بينها، التراث والتجديد، حصار الزمن، هموم الفكر والوطن، حوار الأجيال، من النص إلى الواقع،من الفناء إلى البقاء، من النقل إلى الإبداع، اليمين واليسار في الفكر الديني، وغيرها من المؤلفات التي عبّر من خلالها عن كثير من قضايا وموضوعات لاهوت التحرير الإسلامي نذكر منها: موقفه الإيجابي من الثورة الإسلامية في إيران بوصفها نموذجا تطبيقيا للاهوت التحرير، وموقفه من الظواهر الاستعمارية بوصفها مظهرا للرأسمالية الإمبريالية، بممارساتها اللاإنسانية واحتلالها للأرض، إضافة إلى موقفه من القضية الفلسطينية واعتراضه عن كل أشكال الظلم والاغتراب والاستبداد والاضطهاد التي تطال الإنسان مطالبا بالعدالة والمساواة والوحدة القومية والديمقراطية. [٢٥] وعليه فإن كل مواقفه ومؤلفاته جعلت منه فيلسوف المقاومة ضد الاستعمار والاحتلال، فهي تعكس البعد الثوري والإنساني، وبهذا فهو يقف في صف الجماهير المسحوقة والمقهورة من طرف قوى الظلم والطغيان.

لكن نلاحظ أثر البراكسيس الماركسي واضحة في أفكار حسن حنفي، حيث أسقط وجهة النظر الماركسية اليسارية في النظم السياسية على التراث الإسلامي. بالإضافة إلى تأثره بالفكر الغربي، بدليل توظيفه لمصطلح "اللاهوت" عند حديثه عن لاهوت التحرير وهو مصطلح مسيحي. وعلم اللاهوت المسيحي هو محاولة لفهم الله

كما هو معلن في الكتاب المقدّس. كما يضم كل العقائد المسيحية التي تعالج كل العلاقات بين الله والكون. وبالتالي فمصطلح "اللاهوت" دخيل على لغتنا ومنظومتنا المعرفية العربية والإسلامية.

وخلاصة القول، إن حنفي يعطي الأولوية للعمل على النظر، وهذا راجع إلى انتمائه الإيديولوجي وهو اليسار الإسلامي، وربط ذلك بتبنيه للفكر الماركسي الذي يمجّد العمل ويعتبره أساس كل تغيير. وهذا ما جعل حنفي يوظف التراث ليكون نظرية للعمل وموجها للسلوك.

٤. مكانة العمل في التراث العربي الإسلامي

لقد شغلت مسألة التراث اهتمام الباحثين في الفكر العربي الحديث والمعاصر،وهي بمثابة اللبنة الأساسية أو الحجر الأساسي لكل مفكر عربي يحاول طرح مشروعه في سبيل النهضة العربية. حيث تناول المفكرون العرب القاعدة التراثية بالدراسة والتحليل، وطرحوا أفكارا ووجهات نظر، انطلاقا من قدرة التراث على بعث النهضة العربية من جديد، ومن بين هؤلاء المفكرين "حسن حنفي" الذي دعا إلى إعادة بناء التراث وتجديده كأساس للنهضة وإصلاح الأمة.

المقصود بالتراث هنا النص الديني؛ أي القرآن الكريم والسنة وكذلك العلوم الإسلامية، التي أنتجها السلف، وهي عبارة عن مجموعة من العلوم المتخصصة في الشرع الإسلامي. [٢٦] وتمثلت هذه المحاولة في أنسنة هذه العلوم، وكذلك إبراز البعد التاريخي والبعد الإنساني فيها، وبمعنى آخر يمكن القول بأنه يحاول تأسيس علم الإنسان انطلاقا من علم أصول الدين، والذي يهدف من خلاله إلى تحويل بؤرة الاهتمام من الله إلى الإنسان. [٢٧]

وفي هذا السياق يذهب حسن حنفي إلى أن القدماء لم يهتموا بالإنسان، بل كان اهتمامهم موجه إلى الله فقط وبهذا غاب الإنسان عن التراث العربي الإسلامي القديم، حيث يقول "فالإنسان والتاريخ هما البعدان المستتران في تراثنا القديم، والواضحان في العصر الحاضر".[٢٨] ويجدر بنا الإشارة إلى أن الإنسان المقصود هنا هو الإنسان العادي، الإنسان من حيث هو إنسان، وليس الإمام أو الحاكم أو الرئيس أو الأمير. ومن هنا فإن مشروع التراث والتجديد عند حنفي يسعى إلى الكشف عن الإنسان في التراث القديم، ومحاولة تثبيته في وجدان العصر ووضعه في التاريخ، أي التأسيس

لمبحث الإنسان ضمن منظومته المعرفية، والهدف من ذلك تغيير تصور الجماهير للعالم، وإزالة الاغتراب الديني وإصلاح الوعي الديني تمهيدا لإصلاح الواقع والثورة عليه. [٢٩]

ومن هذا المنطلق، يحاول حسن حنفي أن يسلّط الضوء على بعض الآيات من القرآن الكريم، وعلى مضامينها ويطبقها على الواقع المعاصر، باعتبار أن القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية جزءا من التراث الإسلامي، فكما هو معروف أن كلاهما يزخر بالنصوص الدينية، التي تنص وتؤكد على تكريس وتمجيد القيم الإنسانية والمتمثلة في قيم العدالة والمساواة لقوله تعالى: "**إن الله يأمركم بالعدل**"[٣٠]بالإضافة إلى قيم الحرية والكرامة الإنسانية، حيث جاء في حديث عمر بن الخطاب "**متى استعبدتم الناس وقد ولادتهم أمهاتهم أحرار**" وغيرها من القيم. وهي نفس القيم التي يسعى إليها لاهوت التحرير من أجل تحقيقها، وهذا ما يؤكده حسن حنفي في قوله "أنطلق من الإسلام باعتباره دعوة من أجل الحق والخير والعدالة والمساواة وفي الطريق سألتقي بمن يهدفون إلى نفس الغايات فأعتبرهم رفاق نضال ومن بين هؤلاء ماركس الذي نحبه ونحترمه، لأنه ساهم في الكشف عن عدة حقائق هامة".[٣١]

فالقرآن الكريم كما يراه حسن حنفي هو إلغاء المسافة بين الله والإنسان، ويستشهد بحديث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام حين قال «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**».[٢٣]

وقول علي بن أبي طالب عن القرآن «**إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال**». [٣٣]

فالله عزوجل فسر ووضح في كتابه كل الأمور سواء المتعلقة بالدنيا أو الآخرة، بهدف إلغاء المسافة الموجودة بين الإنسان وربه ويصبح كأنه في حالة اتصال وتواصل دائم وبهذا يقرب المسافة، من خلال أنه يحتوي على مجموعة من الآيات نزلت إبان ثلاثة وعشرون عاما وكل أية من الآيات تمثل حل لموقف معين في الحياة اليومية لفرد أو جماعة من الأفراد. بهدف الإصلاح والثورة وتحرير العقول وهذا ما نسميه بالإسلام التقدمي أو الإسلام لصالح الجماهير أو الإسلام الغالبية الصامتة... فهو جاء لينذر الحكام والطغاة ويقوي الحركة الشعبية ويقودها، والدين بطبيعته يغير أمر الواقع الذي يسود فيه الغني على الفقير والحاكم على المحكوم وكل الثورات التي قامت في الإسلام قامت على هذا الأساس. [٣٤]

ومن هنا يتبين لنا أن الإيمان الحقيقي عند حنفي عملي وليس نظريا، فمن لم يهتم لأمور المسلمين فليس منهم، فالصلاة لا تكون صلاة حقيقية إذا تجردت من الاهتمام بشؤون الناس والسعي لخدمتهم، فالإيمان من منطلق الإسلام هو إيمان يعيشه الإنسان في علاقته بالآخرين.

٤. ١. مكانة العمل في القرآن الكريم

يُعدّ العمل من منظور حسن حنفي، الاختيار الذي يبني الدول ويقيم العمران، وعصر الفتوحات الإسلامية خير شاهد على ذلك، إذ ورد لفظ العمل في القرآن الكريم في عدة مواضع، "فمن حيث الاشتقاق ذكر العمل فعلاً أكثر منه اسمًا مما يدل على أن العمل فعل".(٣٥) ومن حيث المضمون يدعو القرآن إلى العمل﴿ **وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ** ﴾(٣٦)

كما أنه يفيد ارتباط الإيمان بالعمل الصالح﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى** ﴾(٣٧)

ويختلف لفظ العمل عن الفعل، "العمل أقرب إلى العمل في الخارج والتأثير في العالم، بينما الفعل أقرب إلى العمل الذاتي، التعبير عن جوهر الذات﴿ **فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسَهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾(٣٨) وترد معظم استعمالات لفظ فعل في القرآن بمعنى سلبي لتطهير الذات. وهي أفعال الظالمين والسفهاء والمبطلين والكافرين والجاهلين والضالين والمجرمين والخاسرين والصاغرين والنادمين. في حين أن الأفعال الإيجابية قليلة، أفعال المتقين والصابرين".(٣٩)

كما أن نزول الآيات كان لسبب؛ بمعنى وجود سبب النزول أولاً ثم نزول الآية ثانيًا. وفي كثير من الأحيان كانت الآية تقاس بحسب الواقع ويتم تعديلها على أساس درجة تقدمه ونعني بذلك النسخ. وكان العمل في الدنيا هو طريق الآخرة، وكان الواقع طيعًا للفكر من خلال العمل. (٤٠)

ومن هنا نلاحظ أن حنفي يقدم دلالات جديدة لعلوم القرآن؛ حيث جعل أسباب نزول الآيات، نظرية تكرّس أولوية الواقع على الفكر، وتحويل الناسخ والمنسوخ إلى نظرية لتغيير وتطوير التشريع.

وذُكِر لفظ العمل في الحديث النبوي الشريف، واقتُرِن بالعلم النافع وضرورة تطابق علم العالم مع أفعاله وأقواله. ولا يوجد علم نظري إلى ما لا نهاية، فالعلم بداية والعمل

نهاية. والعلم قراءة القرآن، وقراءة القرآن تؤدي إلى العمل به، لقوله صلى الله عليه وسلم «**المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به**» والعمل في الأرض لتعميرها، وتحقيق استخلاف الإنسان فيها، «**خير الكسب كسب اليد**».(٤١)

وفي تبريره لأولوية العمل على النظر، يستند حنفي إلى النص الديني، قرآنا كان أو سنّة. فإذا جاء النص موافقا لموقفه، أخذ بظاهره "كما هو"، وإلاّ لجأ إلى تأويل النص بما يتوافق وموقفه.

٢,٤ .مكانة العملفي السنة النبوية:

"في الحديث الشريف يتعيّن إعطاء الأولوية للمتن على السند، بعد أن كان المحدّثون يحصرون اهتمامهم في معرفة الرجال وتعديل الرواة. فالمطلوب هو المرور إلى منهج النقد الداخلي بدل النقد الخارجي، من منطلق مرجعية العقل والبداهة وحقائق العلم، فتصبح مضامين المتن هي المعيار في التصحيح، لا الأسانيد والمرويات".(٤٢) والنبوة فعل في التاريخ وحركة فيه، فهي ليست معرفة نظرية فحسب، بل تحقق عملي وحركة تاريخية تعمل على تقدم الشعوب. والإيمان والعمل والإمامة كلها ترمي إلى تحقق الوحي في التاريخ، في الفرد والجماعة، في المواطن والدولة.(٤٣)

ومن هنا تصبح علوم القرآن (القرآن الكريم والحديث الشريف)، علوم لها صلة بالواقع وأحداثه، بعد أن كان يُنظر إليها كعلوم نقلية خالصة.

ولما كانت الكثير من الآيات القرآنية تحث على النظر والتعقل بما يمكن أن يُفهم منه، أو هكذا فهم الكثيرون، أهمية النظر العقلي وربّما أسبقيته على الفعل، فإن حنفي يلجأ إلى تأويل هذه الآيات القرآنية بما يوافق موقفه، وهو ما يظهر في قوله بأن القرآن عندما يدعو إلى التعقل والتفكر والتدبّر، فإنه يهدف إلى الاعتبار والعظة من أجل الاستفادة في الحياة العملية، وليس لتأسيس بناء نظري خالص بديلا عن الواقع. فلا يوجد تفكير نظري، إنما التفكير تفكير في شيء... ويتطلب العقل الفعل وعدم أمر الناس بالبر دون فعل ذلك(٤٤)لقوله تعالى:﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(٤٥)والعقل النظري هو الذي يوجه العقل العملي ويمنع من الضلال﴿**وَلَقَدْأَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونْ** ﴾(٤٦)

أما في مجال علم أصول الدين، فقد جعل المتكلمون موضوع العلم الطبيعة والنظر في ظواهرها ومكوناتها وعللها، ثم تأتي الأدلة على وجود الله. "فالنظر في

الطبيعة سابق على النظر في الله، والبحث في المحسوس سابق على البحث في المعقول. ومشاهدة المرئي سابق على اللامرئي الذي لا يعرف إلا عن طريق قياس الغائب على الشاهد".[٤٧] إلا أن موقف حسن حنفي من علم أصول الدين كان سلبيا؛ حيث يشير في كتابه من العقيدة إلى الثورة أنه كان سببا في إضعاف العقيدة ممّا جعله عرضة للنقد والتجريح؛ لأن علماء الكلام يستعملون لغة الدين الخاصة بدلا من لغة الفكر العامة. [٤٨]

كما يعتبر حنفي قضية العمل والنظر قضية إنسانية خالصة، تتناول موضوع العمل والسلوك طبقا للتصورات والدوافع، وحسب البواعث والغايات، بعيدا عن الجوانب الإلهية. وذلك لارتباط موضوع الإيمان بالنظر والعمل والتصديق والإقرار. ويظهر الإيمان من خلال أبعاد أربعة هي: الفكر والقول والوجدان والعمل، وفي الحديث النبوي الشريف تتجلى هذه الأبعاد، "من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان". وعند تحليله لمضمون الحديث يعتبر الرؤية هي المعرفة أو الفكر أو النظر، ويتلوها العمل المباشر. فإن صعب يتلوها العمل باللسان وهو القول، فإن صعب يتلوها العمل بالقلب وهو الاعتقاد أو التصديق أو الوجدان. [٤٩]

لكنه يذهب بعد ذلك إلى اعتبار المعرفة والوجدان بعدا واحدا، فالمعرفة نظر والوجدان تصديق وفي الوقت ذاته فكلاهما نظر إما عقلي أو قلبي، استدلالي أو وجداني. ومن ثمّ تصبح للشعور ثلاثة أبعاد هي: المعرفة أو النظر، والقول أو الإقرار ثم العمل. [٥٠]

اعتمد حنفي على هذا المشروع كأساس ومنطلق للتجديد، قصد إحياء الحضارة الإسلامية من جديد أو بالأحرى إعادة الأمة إلى مسار التاريخ والحضارة، فاتخذ من التراث (العقيدة) وسيلة ومن التجديد (الثورة) غاية، وما يبرر انطلاقته هذه هو أن التراث حسبه "ليس كيانا مستقلا بذاته، بل هو في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير".[٥١] ومعنى ذلك أن هذا التراث لا يزال أثره في نفوس جماهير الأمة ووعيها في وقتنا الحاضر، ومن ثمّ فإن قضية دراسة تراث الماضي ليست قضية دراسة للماضي العتيق فحسب، الذي ولى وطواه النسيان، ولا يزال إلا في المتاحف، ولا ينقب عنه إلا علماء الآثار، بل هو أيضا جزء من الواقع ومكوناته النفسية. "ومازال التراث القديم كما يقول حنفيبأفكاره وتصوراته ومثله، موجها لسلوك الجماهير في حياتنا اليومية".[٥٢]

ومن هنا يتبين لنا أن عودة حنفي إلى التراث هي عودة مبررة، فهو لا يعود إليه تقديسا له، ولا حنينا إليه كما يفعل البعض، بل لأن هذا التراث مازال له مفعوله في الواقع العربي المعاصر كما له تأثير في نفوسنا ووعينا، فالقيم القديمة التي يتضمنها التراث هي جزء من هذا الواقع، ويدلل حنفي على ذلك ببعض الأمثلة والشواهد الحية من واقعنا المعاصر، فنحن مثلا نجد أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر الموروث عن السلف تسيطر علينا وعلى فكرنا، فنفسر هزائمنا بأنها قضاء وقدر، أو بعبارة حنفي "لا يغني حذر من قدر"، كما أننا نقطع العلاقة الموجودة بين العقل والتحليل المباشر للواقع باعتباره مصدرا للنص، ونرضخ للأمام ونطيع له خائفين. (٥٣)

وعلى ضوء ما سبق ذكره من الأمثلة، يتبين لنا بأن اهتمام حنفي بالتراث واتخاذه منطلقا له في التأسيس لثقافة المقاومة تعود لكونه ينظر إلى الواقع العربي المعاصر كحصيلة التراث القديم. ولهذا فحسب حنفي يجب إعطاء الأولوية للواقع على الفكر أثناء التأويل من خلال التركيز على أسباب النزول والبيئة الاجتماعية. وفي هذا الإطار وجد أن المنهج المناسب والأكثر ملاءمة لقراءة التراث هو المنهج الفينومينولوجي أو الظاهراتي. حيث حاول حسن حنفي أن يوجه النص لما يخدم الواقع، فمن خلال نزعته الفينومينولوجية يتناول علاقة الفكر بالواقع مغلبا الواقع على الفكر، ولذلك يتغيّر الوحي تبعا لتغير الواقع، ويتجدد طبقا له ويتطور بتطوره.كما أولى حسن حنفي للشعور الذي هو أساس الفينومينولوجيا أهمية كبيرة في مقاربة الدين عموما، والدين الإسلامي خصوصا، من أجل تأصيل الإسلام معرفياانطلاقا من الوحي وبذلك يتحول الدين إلى موضوع للخبرة الشعورية، وبذلك تنتزع عنه صفة القداسة. (٥٤)

ومن خلال المنهج الذي اتبعه حسن حنفي، نستنتج أنه أعطى الأولوية للبعد الاجتماعي للعقيدة والإيمان، على حساب البعد الروحي والأخلاقي، وأيضا أعطى الأولوية لمفاهيم العمل والمنفعة والمصلحة.

ومن هذا المنطلق، فإن حنفي حاول من خلال مشروعه التراث والتجديد تطوير علومه، أي إعادة بنائها بما يتماشى مع مشروع لاهوت التحرير الإسلامي. وتتمثل محاولة التطوير هذه في أنسنة هذه العلوم وتثويرها، من خلال إبرازه للبعد التاريخي والإنساني فيها،ومن بين هذه العلوم نذكر علم أصول الدين أو ما يسمى بعلم الكلام.

٤. ٣ علم الكلام الجديد عند حسن حنفي

من بين تمظهرات تثوير العقيدة عند حسن حنفي تجاوز النظرة التقليدية لعلم الكلام، وهذا من خلال نقده للتعريف وللمواضيع القديمة التي عالجها، والعمل على وضع رؤية جديدة خاصة بهذا العلم استنادا لمتطلبات العصر الجديد، حيث تعتبر حاجات المسلمين اليوم المادة الأولى لعلم أصول الدين، وباعثه الأول لإعادة بناء التراث هو الاستجابة لحاجات العصر ومتطلباته، وهذا ما أنجزه في كتابه "التراث والتجديد"، حيث يرتكز عمل الباحث المعاصر على تبيان نشأة العلم القديم، سبب ظهوره بهذه الكيفية، ثم يعيد البناء من جديد، وهكذا تستمر عملية التكوين. (٥٥)

اهتمّ علم الكلام بالدفاع عن العقيدة الإسلامية وتثبيت الإيمان، والرد على الشبهات التي وُجهت للأنبياء ورسالاتهم من طرف أصحاب الملل الخارجية، لكن اليوم الظروف تغيّرت وأصبح من الضروري تغيير مضمون علم الكلام (علم أصول الدين) بعد احتلال أراضي المسلمين ونهب ثرواتهم. وعليه لا بدّ من تجديد هذا العلم بما يتوافق معطيات الحاضر، ومن ثمّ سيتم الانتقال من علم اللاهوت إلى لاهوت التحرير. (٥٦)

لهذا حاول أن يجعل من علم أصول الدين علما أكثر فعالية في حياة الناس ففي نظره أن دراسة مواضيع الله من حيث الصفات والإثبات لوجوده لا يقدم ولا يؤخر لأن الزمان يختلف والمكان يختلف، فقديما كان الناس لا يفقهون الإسلام بشكل جيد، لهذا نجد أن مواضيع الوحي القديمة تخدم ذلك الزمان، أما الآن فالوضع تطور وتغيرت الظروف، ومن ثمّ وجب على إعادة بناء هذا العلم.

وعليه، فحسب حسن حنفي، يجب تحويل الدين من الإيمان القلبي إلى العمل، والنظر إلى الوحي يجب أن تتغير وتتطور تبعا لتطور الواقع، ليصبح بهذا مسايرا للأحداث. فالعقل اليوم بلغ كماله والإنسان يستطيع بعقله الإدراك المباشر كما يستطيع بفعله تغيير واقعه. فعلاقة الوحي بالعقل هي علاقة تبعية، حيث يقضي العقل على كل لبس موجود في فهم النصوص كما يقضي على كل تفسير حرفي أو مادي له أو أي تفسير يضع مبادئ الإنسانية موضع خطر، فالعقل هو الوريث الشرعي للوحي، ولما اكتمل الوحي كان العقل هو التطور الطبيعي له. وفي هذا الصدد يقول: «وقد ظهر أن العقل أساس النقل وأنا كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل». (٥٧)

وعلى هذا الأساس، يعتبر حنفي أن الموضوع المحوري هو التوحيد الموجه نحو العمل، في مقابل التوحيد القديم الموجه نحو التشبيه والتشخيص؛ التوحيد باعتباره موجها للسلوك وليس تصورا نظريا. وبهذا فإن حسن حنفي دعا إلى تحويل الوحي من جانبه النظري إلى جانبه العملي، من خلال تطويره ونزع القداسة عنه ليتسنى للعقل استخدامه حسب الظروف والأحداث فيكون بذلك مزامنا للواقع.

٤. ٤ العمل والإيمان

العمل من منظور حسن حنفي مرتبط بالإيمان وهو فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ومن ثمّ يكون الكفر فعل المعاصي واجتناب الطاعات. [٥٨] لذلك استوجبت الطاعة المعرفة وكذلك التصديق. فالطاعات ليست إقامة الشعائر (أركان الإسلام) فحسب؛ لأنها تتطلب فهما نظريا من أجل تحديد دلالتها، ومنه فهي تُعدّ وسائل هدفها تحقيق غايات عامة. أما بالنسبة للمعاصي، فهي وسائل للقضاء على هذه الغايات. مثلا أكل الخنزير أو شرب الخمر مفسدة للصحة ومضيعة للمال. [٥٩]

ومن هذا المنطلق يعتبر حسن حنفي النظر أساس العمل وهنا يتناقض مع موقفه الذي سبق ذكره في كتاب "النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن" حيث اعتبر العمل أسبق من النظر. ويتأكد ذلك في قوله: "لما كان النظر أساس العمل، فكلاهما جانبان لشيء واحد. كان تحديد الإيمان أولا بالنظر، النظر عمل لم يتحقق بعد، والعمل نظر قد تحقق وأصبح فكرا واقعا. ولكن يظل النظر هو الأساس والبداية وليس العمل، وإلاّ كان العمل أهوج عشوائيا اندفاعيا بلا أساس. العمل في حاجة إلى أساس أولي هو النظر. [٦٠] ونفهم من ذلك أن سبق النظر على العمل في هذه الحالة، ارتبط بأسبقية الإيمان على التصديق والعمل؛ لأن الإيمان ليس حالة انفعالية وليس قرارا فرديا، بل هو موقف واع يتحقق في صورة عمل.

أكد حسن حنفي في عدة مواضع أن الواقع العملي مصدر كل فكر، ومن ثمّ أولوية العمل على النظر، لكنه يقول عكس ذلك في مسائل العقيدة، فالوحي قائم على النظر ويعطي معرفة وسلوكا، ولما كان النظر أساس العمل وجب النظر. وما يؤكد ذلك قوله: "أما نفي النظر بدعوى النقل والأثر والوحي والنبوة والنص والحكم والأمر، فإن ذلك هدم للوحي ذاته وقضاء للنبوة ذاتها. فالعقل أساس النقل، ومن يقدح في العقل يقدح في النقل".[٦١]

وأشار حنفي فيما سبق، إلى أن التجربة الصوفية ممارسة عملية بالدرجة الأولى، إلا أنه في كتابه "من العقيدة إلى الثورة" يشير إلى المقدمات التي سبقت هذه التجربة وهي الرياضات والمجاهدات حتى يتحقق شرط العلم، ويرى أن كمال التجربة الصوفية يكمن في تنظيرها وتحويلها إلى علم عقلي، لذلك اجتمعت علوم الذوق وعلوم النظر معا في حكمة الإشراق. [٦٢] لكن حسب حنفي الظروف التي نشأ فيها التصوف قد تغيّرت، فلا مبرّر للعيش في عالم الزهد والعزلة؛ لأن المطلوب في الوقت الحالي، هو تحويل التصوف إلى المقاومة والرفض والثورة. [٦٣] لكن لم يوضح لنا حنفي، كيف يصبح التصوف تعبيرا عن المقاومة والمطالبة بالتغيير، وهو يتأسس على معنى مغاير تماما، وهو في هذه الحالة لم يعد تصوفا؛ لأن من خصائص التصوف الزهد والعبادة والدعوة للأخلاق.

إضافة إلى **الفكر الاعتزالي** الذي كان يرى فيه العصرنة والاستقلالية مقارنة بالفكر الأشعري. فقد بنى حسن حنفي أفكاره وخاصة كتابه التراث والتجديد على أسس اعتزالية، فحسب نظره هو الأنسب لإعادة نشأة تراثنا الإسلامي بشكله الجديد، وإعطاء الإنسان حقه في التفكير والتعبير والتطوير والانجاز، وحسب حنفي فإن المعتزلة كانت تمثل ثورة العقل وعالم الطبيعة وحرية الإنسان، وأن التوحيد أقرب إلى المبدأ العقلي. فالمعتزلة تعطي للإنسان أولوية في بناء عصره، وتحقيق متطلباته، ليصبح مسؤولا عن أفعاله، ومتطلعا لأهدافه التي يسعى بعقلانيته للوصول إليها وتحقيقها. [٦٤]

ومع ذلك، فإن محاولة حنفي لا تخلو من الإبداع والتجديد، التي تعبّر عن تطويره للفكر الإصلاحي القديم أكثر منها تقليدا واجترارا له، فيقول: "وإذا كان التجديد في تراثنا.... قد تم باسم العقل أو باسم الشرع فإن التجديد الحالي يتم باسم الواقع ومن أجل التغيير، لم يكن الواقع غريبا على التراث القديم لأن أصول التراث نفسه –وهو الوحي–مبنية على الواقع وتغيرت وتكيفت طبقا له. [٦٥]

وعليه، فإن كل هذه المرجعيات التي اعتمد عليها حسن حنفي في بناء مشروعه النهضوي الحضاري، سواء أكانت غربية أم عربية، تصبو كلها لهدف واحد ألا وهو الإنسان. ولذلك فإن هذه المصادر كان لها أثرا واسعا في فلسفة حنفي وكانت بمثابة البذرة الأولى لتأسيس مشروعه النهضوي الإنساني، وهذا لكونها تخدم فكره ومشروعه، ولها نفس هدفه من حيث أنها كلها تركز على الإنسان من حيث منحه الاستقلال والحرية، وتهدف إلى تمجيد العقل وكسر كل ما يسجنه ويعيق مساره التطوري.

٥. دور المثقف في الانتقال من مستوى الفكر إلى مستوى الواقع:

تعرض حنفي إلى مسألة دور المثقف والفيلسوف في علاج مشاكل الوضع العربي الراهن. فالمثقف هو الذي يوحّد بين الفكر والواقع، بين السماء والأرض، "فالتحليل المعرفي يتم في المكتبات وعلى المكاتب، في حين أن النضال الوطني يكون في الطرقات ومع الناس".[٦٦] والفيلسوف هو الذي يمارس أفعال الفكر ويحلل الواقع، فليس من المعقول أن يقدم درسا في حقوق الإنسان في الجامعة والملتقيات العلمية، وحقوق الإنسان منتهكة في المجتمع. لكن ما يزال واقعنا مغطى بالأنساق المعرفية والقيمية القديمة ولا يجتهد ولا يعيد الاختيار بين البدائل. ومن المفروض "الفيلسوف هو ابن عصره والقادر على تشخيص طبيعة المرحلة التي تمر بها حضارته، والتأثير في أكبر قدر ممكن من الناس، ومخاطبة الخاصة بالقول البرهاني، والمثقفين بالقول الجدلي، والعامة بالقول الخطابي".[٦٧] ومعنى ذلك أن وظيفته لا تقتصر على التنظير والتأويل، بل ينظّر للواقع ويضع آلية للعدالة الاجتماعية، ويقدم نظريات في التنمية والاقتصاد والسياسة؛ لأنه يمارس فعل التفلسف ومن ثمّ تتوحد الذات والموضوع.

ومن هنا يخلص حنفي إلى أن رسالة الفكر ليست البحث النظري الخالص في المسائل النظرية، التي قد لا ينتج منها عملاً..."والعجيب أن البيئات التي هي أحوج إلى التحليل المباشر للواقع، وإلى التغيير الفكري والاجتماعي هي التي تروّج لأحدث النظريات في المنطق والطبيعة والرياضة، وهي التي تستقطب نوعًا معينًا من المفكرين يقومون بهذه المهمة، أي إغماض العين عن الواقع وعما يدور فيه، ثم الحديث عما يحدث في الفكر في الشرق والغرب خاصة في الغرب." [٦٨] ولذلك الفلسفة النظرية حسبه هي تعويض عن العجز عن العمل في الدنيا، فتتسرب الطاقة إلى أعلى بدلاً من أن تتحقق إلى الأمام.

وعلى هذا الأساس يرى حنفي أن "السكوت عن السؤال هو ضد التفلسف وضد التفكير، وضد تحديد المسؤولية. التساؤل هو الكشف، ويحتوي على نصف الجواب. والكف عن التفكير هو قهر للذات بلا مبرّر، فالإنسان هو هذه القدرة الباطنة عل الطرح والتساؤل، وعلى التعالي على المستوى المادي، وتجاوز الأمر الواقع".[٦٩]

ومن هذا المنطلق، يؤكد حنفي على أن مهمة التجديد لا تقع على عاتق فرد واحد، وإنما تقوم على عاتق الجماعة من مثقفين وعامة الناس، فالكل معني بتجديد الواقع الراهن، وترقية الحياة الإنسانية وتحقيق الحرية وتقدم.

خاتـــــــمة:

وخلاصة القول، يعتبر حسن حنفي من أبرز ممثلي اليسار الإسلامي، إذ يدعو إلى المقاومة وتحقيق النهضة انطلاقا من مشروعه النهضوي–التراث والتجديد–والذي سعى من خلاله إلى إعادة بناء علم أصول الدين أو ما يسمى بعلم الكلام. حيث عمل على أنسنة الوحي أي تحويل الإلهيات إلى إنسانيات، انطلاقا من تغيير المفهوم القديم لعلم الكلام وأيضا لموضوعاته التي اعتبرها علوما مجردة ونظرية وتفتقد للمعنى، ولهذا سعى إلى جعل الإنسان هو ركيزة هذا العلم؛ لأن الوحي جاء أساسا للإنسان، والإنسان هو المقصود وليس الله، وبالتالي وجب التغيير ووضع تعريف جديد يكون أكثر ارتباطا بواقع المسلمين.

وعلى هذا الأساس، حاول حسن حنفي أن يجعل من الدين علما إنسانيا خالصا ينطلق من العقل، يتجدد بتجدد أوضاع المسلمين ليكون معاصرا للأحداث.محررا ومنقذا للإنسان من كل الأزمات التي يمكن أن تواجهه. وهنا يبدو تأثره بالفكر الغربي واضحا جليا، حيث وظف المنهج الفينومينولوجي، وتأثر بفلسفة فيورباخ في فكرة الاغتراب الديني، فمن خلال تحليله للنصوص الدينية القديمة، اكتشف أن عالم اللاهوت مغترب عن عالم الإنسان، والتفكير في الله اغتراب عن التفكير في الإنسان.

كما يلاحظ أن فلسفة فيورباخ جمعت بين الإرث التقليدي والتأسيس لفلسفة جديدة، وكذلك جعل ركيزة الدين هي الإيمان، إذ يمكن البحث عن الله في خيال الإنسان وأفكاره، فيبدأ بصناع نفسه بدل صناعة إله، فالإنسان هو الذي يقرّر مصيره بناء على قوانين حقيقية وحضارة يصنعها بنفسه، وطبيعة يتحكم فيها. وهذه الأفكار وجدت عند حسن حنفي كذلك، حيث دعا إلى عمل تحرري (اليسار الإسلامي) ومن خلاله قدّم رؤية جديدة للدين وللتراث. بالإضافة إلى تأثره بالبراكسيس الماركسي الأمر الذي جعله يتبنى وينخرط في تيار اليسار الإسلامي أو لاهوت التحرير الإسلامي.

وفي كتابه"من العقيدة إلى الثورة"كان يريد تثوير النص أكثر من عمله على تغيير الواقع، يحاول أن يقرأ النص عن طريق التعبير عنه بلغة جديدة أكثر من تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه النص. ومن ثمّ استخدم حسن حنفي الدين كإيديولوجيا لتحقيق مشروعه في الأنسنة، بمعنى تحويل الوحي إلى إيديولوجيا ومن ثمّ إلى علم إنساني.

ولكن بالرغم من كل هذه الانتقادات الموجهة له، لا يمكن أن نتغافل عن الجانب الإيجابي، الذي سعى إليه هذا المشروع، أو إنكار الجهود التي بدلها هذا المفكر في العالم الإسلامي والعربي، من خلال مؤلفاته الكثيرة التي قصد من ورائها التجديد والنهوض وتحرير الأمة العربية والإسلامية وكذا الإنسان من جميع أنواع التسلط والسيطرة (الدينية، الثقافية، السياسية).

الهوامش :

(١) **حسن حنفي:** (١٩٣٥-) فيلسوف ومفكر مصري، درس الفلسفة في جامعتي القاهرة والسوربون في فرنسا، له إنتاج غزير يتوزع ما بين التأليف الأكاديمي، والتأسيس النظري، والترجمة والكتابة الصحافية. (السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي، ص ٣٢).

(٢) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج١، ترجمة خليل أخمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط٢، ٢٠٠١، ص٢٦.

(٣) معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج١، مج١، معهد الإنماء العربي، لبنان، ط١، ١٩٨٦، ص ٦٢٤.

(4) Grand dictionnaire de la philosophie: éditions Montréal (Québec) 2005, ex 01, P : 842.

(٥) معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج١، ص٦٢٤.

(٦) طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص٥٠٩.

(*) **-كارل ماركس:** (١٨١٨-١٨٨٣) فيلسوف واقتصادي ألماني، من أسرة يهودية (اعتنق والده البروتستانتية فيما بعد)، قدم أطروحته الجامعية حول فلسفة أبيقور سنة ١٨٤١، وفي برلين انضم إلى حلقة اليساريين الذين كانوا يحاولون أن يستخلصوا من فلسفة هيجل استنتاجات ثورية. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص٦٢١)

(٧) م.روزنتال، ب.يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.ص ٣١٤.

(8) HannahArendt: The Human Condition, 2nd Edition, The university of Chicago Press, 1958, Chicago and London, P:7.

(9) Ibid : P 7.

(10) Ibid : P : 8.

(*) **-حنا أرندت:**(١٩٠٦-١٩٧٥) منظرة سياسية وباحثة يهودية من أصل ألماني، اضطرت إلى مغادرة ألمانيا حفظا لحياتها من تصاعد المد النازي المعادي لليهود، وذلك سنة ١٩٣٣ لاجئة إلى فرنسا، ثم بعدها سنة ١٩٤١ إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كان اشتغالها في حقل العلوم السياسية نتيجة الأحداث التي عاشتها. (نبيل فازيو: حنّة آرنت، ضمن كتاب جماعي، إشراف علي عبود المحمداوي، الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ص ٦٧٣، ٦٧٤).

(١١) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، ١٩٨٢، ص١٠٤

(١٢) حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي (الأسس والتطبيقات)، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٣٤٦.
(١٣) المصدر نفسه: ص ٣٦٠.
(١٤) حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي، ص ٣٦١.
(١٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٦) حسن حنفي: أولوية العمل على النظر، ضمن كتاب "النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الرّاهن"، أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي، ص ١٧١.
(١٧) حسن حنفي: الدين والثورة (اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية)، دار النمر للطباعة، القاهرة، دط، ١٩٨١، ص ٧.
(١٨) المصدر نفسه: ص ٤.
(١٩) المصدر نفسه: ص ٢٣٩.
(٢٠) حسن حنفي: اليمين واليسار في الفكر الديني، منشورات دار علاء الدين للنشر، دمشق، دط، ١٩٩٦، ص١٢.
(٢١) وليام سيدهم اليسوعي: لاهوت التحرير: رؤية عربية إسلامية مسيحية، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، ٢٠٠٨، ص٦٠.
(٢٢) حسن حنفي: اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية، ص ٢٠.
(٢٣) حسن حنفي: الوحي والواقع تحليل المضمون، مركز النقد الثقافي، دمشق، ط1، ٢٠١٠، ص ١٠.
(٢٤) المصدر نفسه: ص ١٠.
(٢٥) المصدر نفسه: ص ١٥.
(٢٦) العياط نور الدين: النص القرآني، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران احمد بن بله، قسم الحضارة الإسلامية، ٢٠١٤-٢٠١٥، ص ٢٤.
(٢٧) مصطفى النشار: حسن حنفي مقاربة تحليلية نقدية، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٧، ص ٣٨٧.
(٢٨) حسن حنفي: اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية، ص ٢٥٠.
(٢٩) مصطفى النشار: حسن حنفي، مقاربة تحليلية نقدية، ص ٣٨٧.
(٣٠) سورة النحل: الآية٩٠.
(٣١) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ص ٤٥.
(٣٢) مصطفى النشار: حسن حنفي مقاربة تحليلية نقدية، المرجع السابق، ص٣٨٧.
(٣٣) المرجع السابق: ص٣٨٧.
(٣٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣٥) حسن حنفي: أولوية العمل على النظر، ضمن كتاب "النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الرّاهن"، أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٥٨.
(٣٦) سورة التوبة: الآية ١٠٥.
(٣٧) سورة الكهف: الآية ٨٨.
(٣٨) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
(٣٩) حسن حنفي: أولوية العمل على النظر، ضمن كتاب: النظر والعمل–والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن–أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي، ص ص ١٥٩، ١٦٠.
(٤٠) حسن حنفي: قضايا معاصرة–في فكرنا المعاصر–ج١، مكتبة الجديد، مصر، ط١، ١٩٨١، ص ص ١٢٦، ١٢٧.
(٤١) حسن حنفي: أولوية العمل على النظر، ضمن كتاب النظر والعمل–والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن–أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي، ص ١٦١.
(٤٢) السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي، ص ٣٧.
(٤٣) المرجع نفسه: ص ١٧٨.
(٤٤) حسن حنفي: أولوية العمل على النظر، ضمن كتاب: النظر والعمل–والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن–أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي، ص ص ١٧٥، ١٧٦.
(٤٥) سورة البقرة: الآية ٤٤.
(٤٦) سورة يس: الآية ٦٢.
(٤٧) أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي: النظر والعمل–والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن–ص ١٧٨.
(٤٨) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة (المقدمات النظرية)، ج١، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ١٩٨٨، ص١٢٨.
(٤٩) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة (الإيمان والعمل–الإمامة)، ج ٥، مكتبة مدبولي، القاهرة، دط، دس، ص ١٠.
(٥٠) المصدر نفسه: ص ١١.
(٥١) حسن حنفي: التراث والتجديد، ص ٧٠.
(٥٢) المصدر نفسه: ص٧٢.
(٥٣) مصطفى النشار: مقاربة تحليلية نقدية، ص٣٠٠.
(٥٤) بن عطا الله فاطمة: التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٦٦.

(٥٥) حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢، ص ٩٨.
(٥٦) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج١، ص١٣١.
(٥٧) حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ص ٢٠٠.
(٥٨) المرجع السابق: ص ٧٧.
(٥٩) المرجع نفسه: ص ص ٨٣، ٨٤.
(٦٠) المرجع نفسه: ص ١٤.
(٦١) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج١، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٩٤.
(٦٢) المرجع السابق: ص ٢٩٣.
(٦٣) حسن حنفي: التراث والتجديد، (موقفنا من التراث)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٩٢، ص ١٤٢. وانظر أيضا كتاب من الفناء إلى البقاء لحسن حنفي)
(٦٤) بصيرة عمرة: إشكالية التراث والتجديد، ص ١٤.
(٦٥) حسن حنفي: التراث والتجديد، ص١٥٩.
(٦٦) أبو يعرب المرزوقي وحسن حنفي: النظر والعمل، ص ١٩٥.
(٦٧) المصدر نفسه: ص ص ١٩٩، ٢٠٠.
(٦٨) حسن حنفي: قضايا معاصرة، ج١، ص ١٤.
(٦٩) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة من العقيدة إلى الثورة (المقدمات النظرية) ج١، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ١٩٨٨، ص١٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

١.المصادر:

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية الشريفة

حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢.

حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي، دار الهادي للطباعة، والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١،٢٠٠٤.

حسن حنفي: الدين والثورة (اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية)، دار النمر للطباعة، القاهرة، دط، ١٩٨١.

حسن حنفي وأبو يعرب المرزوقي: النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

حسن حنفي: قضايا معاصرة–في فكرنا المعاصر–ج١، مكتبة الجديد، مصر، ط١، ١٩٨١.

حسن حنفي: الوحي والواقع تحليل المضمون، مركز النقد الثقافي، دمشق، ط١، ٢٠١٠.

حسن حنفي: اليمين واليسار في الفكر الديني، منشورات دار علاء الدين للنشر، دمشق، دط، ١٩٩٦.

٢–المراجع العربية:

السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي، مقاربة تحليلية نقدية، نيويورك للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1،٢٠١٧.

وليام سيدهم اليسوعي: لاهوت التحرير رؤية عربية إسلامية، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2008.

٣-المراجع الأجنبية:

HannahArendt: The Human Condition, 2nd Edition, The university of Chicago Press, 1958, Chicago and London,

٤-المعاجم والموسوعات:

أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أخمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط٢، ٢٠٠١.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، ١٩٨٢.

طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠١٠.

م.روزنتال، ب.يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.

معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج١، معهد الإنماء العربي، لبنان، ط١، ١٩٨٦.

المعاجم الأجنبية

Grand dictionnaire de la philosophie: éditions Montréal (Québec) 2005, ex 01, P : 842.

الرسائل الجامعية

بصيرة عمرة:إشكالية التراث والتجديد عند حسن حنفي، رسالة لنيل شهادة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة قسم الفلسفة، 2020،2021

بن عطا الله فاطمة: التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٥.

العياط نور الدين: النص القرآني، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران احمد بن بله، قسم الحضارة الإسلامية، ٢٠١٤-٢٠١٥.